الفرق الصوفية في الجزائر عند البحاثة الفرنسيين في عهد الاحتلال و تأثيرها في صياغة الخصوصية الدينية في منطقة القبائل

الباحث حمــدي عيسى/جامعة مستغانم
اشراف د بلخير بومحراث/ جامعة وهران 2

مقدمة :

مما لا شك فيه أن الظاهرة الدينية على العموم قد لقيت اهتماما كبيرا من لدن البَحَاثة الآنثروبولوجيين و علماء الاجتماع ، الذين حاولوا معايشتها عن قرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية تَصطبغ بها كل ثقافات الشعوب ، فالدين يُعتبر اللبنة الأساسية في تشكيل الأطر والأنظمة الاجتماعية البدائية منها أو التقليدية و حتى المعاصرة.

ولا يمكن لأي باحث أن يدرس ثقافة مجتمع، دراسة رصينة دون اللجوء إلى العناصر الدينية التي تؤثر في تكوين تلك الثقافات، و لا يكاد يُستثنى أي نسق ثقافي أو سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي و حتى البيئي ، من احتوائه على معتقدات دينية . هذا ما ذهبت إليه العديد من الأبحاث الآنتروبولوجية ، فمن خلال دراسات " جيمس فريزر " في كتابه " الغصن الذهبي" حاول أن يفسر لنا علاقة السحر بالدين، ليبين من خلالها مدى تأثيره على البنية الايكولوجية في ثقافة البدائيين الذين كانوا يعتقدون في وجود الأرواح .

أما " دوركايم "مؤسس علم الاجتماع فقد حاول البحث لمعرفة أصل الدين في دراسته حول " الطوطم " محاولا بذلك طرح منهج ملائم لدراسة الظاهرة الدينية . أما" مالينوفسكي "فإنه و من خلال بحوثه قد أعطى دفعا قويا للمنهج الانثربولوجي، وللدراسات الحقلية بتطبيق تقنية الملاحظة بالمشاركة، وفي دراسته للقبائل الأسترالية تناول جميع الأطر التي تؤسس هذا المجتمع القبلي حيث اعتبر الدين أحد أهم اهتماماته، كما اهتم كل من" راد كليف براون "و"إيفانز بريتشارد "بتقديم تفاسير للظاهرة الدينية في أبحاثهم التي كانت تركز على المعتقدات والطقوس والأساطير. و الجدير بالذكر أن هذه الدراسات تتفق من حيث التعريف على أن للدين جانبين، جانب ظاهري يتجلى في مجموعة من الطقوس والشعائر والممارسات ، و جانب باطني تمثله تلك النزعة الروحية التي تربط الإنسان بخالقه ففي هذا يقول " جيمس فريزر:" " الاعتقاد في الأرواح العلوية "**1**.

أما الباحثة " منال عبد المنعم جاد الله " فذهبت إلى القول بأن " :الدين ليس إيمانا ومعرفة فحسب؛ بل هو فوق ذلك التفاف روحي متبادل وهو رباط من الطاعة والولاء ومن الرعاية بين المتدين وبين الحقيقة العليا التي يؤمن بها و التي يجوز أن يطلق عليها" التجربة الدينية "التي تشمل الجانب الداخلي الباطني لعلاقة الإنسان بالله وتفكره فيه وتوجهه إليه **2**

إذن من خلال هذه المقدمة يتبين لنا مدى أهمية دراسة الظاهرة الدينية التي لا غنى لأي باحث في الإناسة أو الاجتماع لفهم البُنى الاجتماعية و الثقافية و السياسية لأي مجتمع كان. و في هذه الأوراق سنحاول التطرق إلى موضوع النظرة التي كانت تنظر بها المؤسسة الاستعمارية للبنى الدينية و التنظيمات الدينية في الإسلام في الجزائر عامة و في منطقة القبائل خاصة و ذلك بهدف تفكيك هذه البنى و ابتلاع المجتمع ثقافيا و سياسيا و دينيا .

أسباب و دواعي دراسة الدين الإسلامي :

لقد عكف البحاثة الفرنسيون على درس وتحليل الظاهرة الدينية في إطار السياسة الكولونيالية العامة ، و ذلك للوقوف على أدق التفاصيل التي تشكل الأنساق الاجتماعية للمجتمع الجزائري ، فتبين لهم أن الدين الإسلامي يمثل العائق الرئيس في وجه العملية الاستعمارية ، فكثفوا بذلك دراساتهم بهدف تفكيك البنى الدينية القائمة بشتى الوسائل ، فخلصوا إلى نتيجة عامة و شاملة ترى أن " الفكرة الوحيدة المشتركة و التي يمكن أن تشكل رابطا بين جميع القبائل المحيطة (بالمعمرين) هي فكرة الدين "**3** و ذلك نظرا لكون " هذه الديانة لا تملك فقط نزوعا إلى تكثيف إعلان الجهاد و قتل الكفار و لكن أيضا لا تترك أدنى مجال للحرية ، خاصة و أنها لا تعترف بالنظم المختلفة لأنها تسير في آن واحد مجال الأخلاق و السياسة و القضاء و الاجتماع " **4** ، و بالتالي توجب العمل على تجفيف منابعه ، و هذا ما دفع ببعض منظري الإدارة الاستعمارية إلى محاولة إفراغ المنظومة الدينية القائمة آنذاك من المؤطرين المتعلمين من قضاة و أئمة و ذلك نظرا " لكون الميول الدينية القرآنية

المعادية للمسيحيين فينبغي أن نطفئها في الخرافة و الجهل ....علما بأنه في يومنا هذا نجد أن المتسولين المتعصبين الذين ينتمون لجمعيات سرية (هنا يقصد الصوفية) و هي نوع من السلطة الدينية الغير قانونية و الجاهلة ، هم من ألهبوا عقول الجماهير لخوض الحرب ضدنا "5 و بالتالي يتوجب العمل على محاربة هذه التنظيمات بكل الوسائل الممكنة السلمية و العنيفة .

و في دراساتهم للدين الإسلامي ، حاول البحاثة الكولونياليون و انطلاقا من الخلفية الثقافية الغربية التي استحدثتها فلسفة الأنوار أن يسقطوا منظومتهم المفاهيمية و أُطُرَهم النظرية على هذا المجال المعرفي الخام الذي يمثله الدين الإسلامي فخلصوا إلى نتيجة مفادها أن " هذا الدين يدير ظهره للمستقبل، للتقدم وللديمقراطية، ما من شأنه أن يؤدي بالحضارة الإسلامية إلى الوقوع تحت الهيمنة ". **6** و بالتالي فإن هذا الدين في نظرهم يمثل عقبة في تفتح القدرات الإنسانية و تحررها ، ويساعد على تشكل الأنظمة الشمولية المطلقة و الاستبدادية " فالاستبداد و على عكس ما يراه " مونتيسكيو" يرتكز في الأساس على الدين و ليس على الخوف من مقاومته ، و هذا ما يطيل من حياة الأنظمة المطلقة "7. و من هنا بدأت العملية الاستعمارية الشاملة لتفكيك هذه الأنظمة الدينية التي تمثل النسيج الأساسي لبنية المجتمع الجزائري آنذاك، و الذي تمثل فيه الفرق الصوفية الفاعل الرئيس.

تعريف التصوف :

في الحقيقة لم يتواضع البحاثة على تعريف لغوي واحد للتصوف، فلقد ذكر "إبن خلدون "عن" القشيري :"أنه لا يوجد اشتقاق في العربية لهذا الاسم أي الصوفية ، و قال" القشيري – رحمه الله :" ولا يُشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس ، والظاهر أنه لقب، ومن قال اشتقاقه من الصفا أو من الصفة .فبعيد من جهة القياس اللغوي " **8** ، بينما يقول " البغدادي " في بيان أصناف أهل السنة والجماعة " : والصنف السادس منهم :الزُهَّاد الصوفية الذين أبصروا فأقصروا واختبروا فاعتبروا، ورضوا بالمقدور، وقنعوا بالميسور، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسؤول عن الخير والشر محاسب ... ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه والتسليم لأمره والقناعة بما رزقوا والإعراض عن الاغتراض عليه "**9** ، و ما يهمنا نحن ، هو تعريف الغربيين لهذا المصطلح الديني الإسلامي .

إذ كان يرى معظم البحاثة الغربيين " أن الصوفية ليست نظاما فلسفيا أو طائفة دينية، بل هي طريقة للعيش في حالة من النقاء و الطهر الروحي المثالي. و هي لا تتضمن لا عقيدة و لا قواعد ثابتة و لا تفكيرا منطقيا و لا استدلالات أو حجج . و تستمد وجودها من الشعور أو **الإحساس** و الحدس و الانطباع ومعطيات أخرى غامضة و مبهمة و غير محددة. و هي ليست لا إسلامية و لا مسيحية و لا هندية.**10**

و في تعريف آخر يقول M. Dugat : " لقد ولدت الصوفية من رحم الإسلام ، كرد فعل للانغماس في الحياة الدنيوية و الذي جاء نتيجة تكديس الثروات جراء الغزوات الإسلامية وفيما بعد بفساد المؤسسة الدينية باحتكارها للوظائف التعليمية و القضائية و الدينية "**11** ، من خلال هذين التعريفين يمكننا ملاحظة النزعة المادية الغربية التي تحاول فرض مركزية الإنسان في العالم و إضفاء الطابع الإنساني على كل الظواهر الاجتماعية بما فيها الدينية و تختزل التصوف في مجرد أحاسيس و حدس و انطباعات ، و تعيد أسباب ظهوره للصراع بين الثروة و الفساد الناتج عن احتكار الوظائف التعليمية و القضائية و الدينية ، أي بالمفهوم الغربي إلى عدم الفصل بين السلطات من منظور غربي بحت للدولة المدنية الحديثة . إذن يمكننا القول أنهم قد وظفوا رصيدهم المعرفي المتراكم في حقل الإناسة و الاجتماع بخلفيتهم الوضعية لتفسير ظاهرة غاية في المشاكلة و التعقيد ، مما أدى في رأينا إلى انحراف في فهم الظاهرة ككل ، إذ أن السياق المفاهيمي و الإطار الزمكاني يختلفان كل الاختلاف عن تلك التي أنشأتها البيئة الغربية.

التعريف التاريخي للصوفية :

حاول بعض المؤرخين الوصول إلى تعريف للتصوف بالعودة إلى الأصول التي استعملت فيها هذه الكلمة، فقيل أن الرسول – صلى الله عليه وسلم" – بنى زاوية خارج مسجد الصفاء بالمدينة، ذات حيطان ثلاثة، فكان بعض فقراء المسلمين وخاصة من

أولئك المهاجرين الذين لم تؤمن لهم بيوت في المدينة يأوون إليها أثناء الحر والبرد ، " فعَمَد جمع من صحابة رسول الله و بالخصوص الفقراء منهم على غرار أبي هريرة و أبي ذر الغفاري ، إلى اتخاذ مقعد داخل هذه الزاوية ، و كان هؤلاء الفقراء يُسمون " أهل الصوفة " ، الذين يشكلون جماعة تسعى في الخير و تمارس يوميا بعض الشعائر الدينية المعبرة عن التوبة و الزهد "**12** . فكانت بذلك حركة اجتماعية تقودها طبقة الفقراء في محاولة للتفرغ للعبادة و السمو بالنفس البشرية إلى مدارج الروحانيات و الطهارة النفسية ، فسرعان ما انتشر منهجهم هذا في كامل البلاد المفتوحة ف " لزمن طويل كان يُبشر بالصوفية على منابر المساجد في بغداد ، إلى أن أقام صلاح الدين ديرا في مصر لتتوغل بذلك الصوفية في شمال إفريقيا" **13** .

و مع زحف الفتوحات الإسلامية إلى شمال إفريقيا اكتشف العرب شعبا متميزا في ثقافته و لغته و نظامه الاجتماعي إذ " كان البربر حديثي عهد بالمذهب الإصلاحي الدوناتي فأُعجبوا ببساطة الصيغة الإسلامية ، مما جعلهم يتبنون هذه الديانة الجديدة دون مضض لكونها لا تصطدم مع عقيدة التوحيد المسيحية و لا مع عقيدتهم المساواتية « égalitaire » ، المساواة أمام الله و أمام القانون "**14** . و لعل من أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار الصوفية في المغرب الإسلامي هو انتشار فكرة تأليه و تقديس الشخص « culte de la personne » لدى البربر القدامى و تبجيلهم للأولياء و لأن الصوفية لم تكن طائفة دينية و لا مذهبا فلسفيا و لا تتعارض مع العقيدة الإسلامية الجديدة " بل بالعكس كانت تجليا لقداسة النظام الفتي ، لأن الصوفية كما يدل عليه اسمها في جانب منها ليست إلا بحثا عن حالة من النقاء الروحي و روحانية مثالية لتمكن الروح من التواصل المباشر مع الرب و ذلك عبر التأمل و سبل التقوى " **15**. و نلاحظ هنا محاولة من البحاثة الفرنسيين إسقاط و مطابقة مفهوم الرهبانية المسيحية على ظاهرة التصوف.

<u>تصنيف الفرق الصوفية :</u>

يمكننا في هذا المبحث ذكر أهم المؤلفات التي تناولت الفرق الصوفية بالدرس و التحليل والتي مثلت مرجعا لدراستنا :

1 – les confréries musulmanes, R.P Louis Petit

2 – les Aissaoua à Tlemcen, Edmond douté

3 – les Khouan : de la constitution des ordres religieux en Algérie, Charles Brosselard

4 – l'Islam algérien en 1900, Edmond douté

5 – Marabouts et Khouans, Louis Rinn

و سنحاول هنا سرد هذه التنظيمات التي ربما البعض منها اندثر عبر التاريخ و تبقى فقط كمادة تاريخية و التي عددتها هذه الدراسات الفرنسية :

1- الصديقية : و ظهرت في العام الأول للهجرة 622-623 م و ذلك نسبة إلى " أبي بكر الصديق " صاحب رسول الله و الخليفة الأول و ذلك بواسطة سلسلة من الزعماء الروحيين ، و هي منتشرة جدا في بلاد المشرق بالخصوص في مصر و تدعى " المحمدية " ... أما هنا في الجزائر فليس لها مريدين كثر رغم أن العائلة الكبيرة لأولاد سيدي الشيخ تنحدر من الشيخ " سي عبد القادر بن محمد" الذي يتصل نسبه بالخليفة " أبي بكر الصديق "

2- العويسية : و ظهرت في العام 37 للهجرة 657-658 م و ذلك نسبة إلى عويس أبو عمر القراني المولود قرة في اليمن ، كان عويس من أتباع عمر بن الخطاب الخليفة الثاني و كان تابعيا و هي منهج مشرقي غير معروف هنا بالجزائر .

3- العلوانية : و ظهرت في العام 149 للهجرة 766-767 م نسبة إلى مؤسسها سيدي العلواني أبو هاشم الكوفي ، انتشرت كثيرا في مصر و لكنها غير معروفة هنا في الجزائر و جدير بالذكر أن " س يعلوان " كان أول شيخ ديني وضع قوانين الالتحاق بالتنظيم و حدد طقوس الانتماء و كذا مختلف درجات الاستهلال "initiation " بالإضافة إلى واجبات كل من المشايخ و المريدين الجدد .

4- الأدهمية : و ظهرت في العام 161 للهجرة 777-778 م ، نسبة إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور الخراساني ، و ينتسب هذا التنظيم إلى الخليفة الرابع علي بن أبي طالب و هو غير معروف بهذه التسمية في الجزائر ،

فغالبية مشايخ التنظيمات الدينية أمثال سي سنوسي يتشرفون بكون إبراهيم بن الأدهم هو ملهمهم و الذي كان وليا تقيا و لا يأكل إلا من كسب يديه و الذي زهد في حقه الحكم للتفرغ للحياة الدينية .

5- صوفية خراسان و التي ظهرت في العام 200 للهجرة 815-816 م ، لأبي سعيد بن أبي الخير ، و الذي يعتبره الكثير من المسلمين مؤسسا للتصوف في الإسلام. و لكنه في الحقيقة لم يؤسس إلا ديرا " خنقة " أين يجتمع الزاهدون و الذين يفرض عليهم قواعد صارمة ، و هو أول من ألبس أتباعه الصوف و ربما لهذا تعود تسميتهم بالصوفية .

6- البشتامية : ظهرت في العام 261 للهجرة 874-875 م نسبة للفارسي أبو أزيد البشتامي الخراساني و ينتسب إلى علي بن أبي طالب ، و هو مجهول هنا في الجزائر ، رغم اعتماد بعض المشايخ عليه أمثال " سي سنوسي " . و لقد كان البشتامي صوفيا متأثرا بفكرة وحدة الوجود الصوفية للهنود و من أشهر أقواله :" عندما يتصور الناس أنهم يعبدون الله ، فإن الله هو من يعبد نفسه " و :" أنا محيط لا قاع له ، لا بداية له و لا نهاية".

7- الجنيدية : و التي ظهرت في عام 296 للهجرة 908-909 م على يد أبي القاسم الجنيدي البغدادي الزاجاجي ، من أشهر الفلاسفة المسلمين و كان ملهما لمعظم التنظيمات الدينية التي جاءت بعده .

8- القادرية : و التي ظهرت عام 561 للهجرة 1165-1166 م لمؤسسها عبد القادر الجيلاني في الجيلان في قرية " نيف " العراقية و هو من أكبر هذه التنظيمات و أكثرها قدرا و احتراما . لديه أتباع كثر في الجزائر .

9- الرفاعية : و التي ظهرت عام 578 للهجرة 1182-1183 م على يد أبي عباس أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي ، منتشرة في مصر و هي تشبه إلى حد ما " العيساوة " في الجزائر ، يشعلون النيران و يرقصون وسطها و التي يطفئونها بالدوس عليها و يبلعون الجمر الملتهب و بعضهم يبلعون الثعابين إلخ .

10- المدينية : و التي ظهرت عام 594 للهجرة 1197-1198 م و التي تعود حسب " سي سنوسي " إلى شعيب بن حسين أبو مدين ا أندلسي ، و الذي كان مرافقا و تابعا لشيخه " عبد القادر الجيلاني " .

11- الشهروردية : و التي ظهرت عام 602 للهجرة 1205-1206 م على يد شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله الشهروردي ، المتوفي في بغداد . و هي نظام آسياوي بامتياز ، إذ أن كل أتباعه من بلاد فارس و الهند و أثر كثيرا على التنظيمات المتواجدة في الجزائر.

12- السلامية أو المشيشية : و لقد ظهرت في عام 623 للهجرة 1227-1228 م ، أسسها عبد السلام بن مشيش ، لُقب بالإمام الشادلي لأنه كان معلم " سي الشادلي " و تلميذا للشيخ " سيدي بومدين " التلمساني ، و هذه المدرسة تتقاطع مع الشادلية و الدرقاوية التي تتفرع عن المدينية و الجنيدية .

13- الشادلية : ظهرت مع العام 656 للهجرة 1258 م على يد الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله الجبار الشادلي الشريف الحسني ،الإسلامية و يعد أتباعا كثرا في مصر و الجزائر . و تتمتع بسمعة كبيرة لدي غالبية المسلمين.

14- المولانية : و التي ظهرت في عام 672 هجري الموافق ل 1273 م على يد حضرة جلال الدين مولانا المُكنى " الرومي " و هي مدرسة شرقية غير معروفة في الجزائر ، كثير الانتشار في تركيا و آسيا الصغرى التي يحظى فيها باحترام كبير . و زاويتهم غنية جدا ، و مع ذلك معروفون بتقشف فريد و يخضعون للسلطان و يقومون بممارسات عبثية كالرقص و الموسيقى ، و يُختار دائما قائد النظام من عائلة مؤسس الطريقة .

15- البدوية أو الحامدية : و ظهرت عام 675 هجري 1276 م على يد الشيخ أبو الفلان أحمد بدوي ، و هي طريقة مصرية بحتة ، و لديها أتباع كثر في مصر و لكن ليس في الجزائر . كان الشيخ البدوي وليا مُبجلا في مصر ، و يُحج إلى قبره في منطقة الديلتا مرتين في السنة أين يلتقي الكثير من المسلمين . أما في مكة فتسمى الحامدية و التي تكن عداءا كبيرا للمسيحيين .

16- الحيدرية أو الهدرية : و التي ظهرت عام 699 هجري الموافق ل1300 م ، معروفة في بلاد فارس و الهند ، كان مؤسسها الشيخ " قطب الدين حيدر النيسابوري الخراساني ، و اشتهر عنه أنه أول من زرع القنب لجلب النشوة لدى

تلاميذه. و لديهم علامة مميزة و هي حملهم لحلقات من جديد في أيديهم و على أعناقهم و حتى على أعضائهم التناسلية لأنهم ينشدون العفة .

17- النقشبندية : ظهرت عام 719 هجري 1319 م على يد الولي سيد الخوجة بهاء الدين محمد بن محمد الدخاري النقشبندي في بلاد فارس و عاصر عثمان مؤسس الامبراطورية العثمانية و يعتبر أحد المدارس ا أساسية في الإسلام.

18- القلندرية : ظهرت عام 724 للهجرة 1323 م على يد الشيخ و الشريف بو على يوسف الأندلسي القلندري و ضريحه مزار للكثير من المسلمين .

19- السعدية : ظهرت عام 736 هجري 1335 م في سوريا على يد سعد الدين الجباوي ، يتمتع بسمعة كبيرة في مصر ، و السعدية كالرفاعية تتشابه إلى حد كبير في ممارساتها بالعيساوة في الجزائر و الحمدوشية في المغرب .

20- البقطاشية : ظهرت عام 759 هجري 1357 م على يد الشيخ بقطاش الخراساني ، اشتهر في تركيا بمباركته للانكشاريين عند إنشاء جيشهم.

21- الخلواتية : و التي ظهرت عام 750 هجري 1349 م على يد شيخها إبراهيم الزاهد و تابعها الشيخ سي محمد الخلواتي و بعده عمر الخلواتي ، تعتبر من بين أهم التنظيمات الإسلامية المنتشرة كثيرا و المعتبرة كثيرا في المشرق ، و في الجزائر لا تعرف بهذا الإسم و إنما باسم الرحمانية التي تنتشر بكثرة في منطقة القبائل بصورة لافتة

ما يشد انتباهنا في هذه الفرق الصوفية أنها و ربما باستثناء الصديقية ظهرت إما في بلاد فارس أو الهند أو تركيا أو مصر أو الأندلس ، و هذا في تقديرنا يعود إلى احتكاك الديانة الإسلامية عبر الفتوحات بالحضارات الأعجمية العريقة التي كان لها باع طويل في العلوم و الفلسفة و الديانات ، مما أدى إلى تفاعل و احتكاك بين الثقافات الوافدة و المحلية لتظهر في الأخير هذه الطرق الصوفية و التي هي في نظرنا وعاء لتقاطع عدة ثقافات و ديانات و موروثات اجتماعية و ثقافية لعدة مجتمعات انصهرت في بوتقة الحضارة الإسلامية التي كانت حاضنة لكل الثقافات .

<u>عموميات حول هذه الطريقة الرحمانية :</u>

لقد توصل البحاثة الغربيون في دراساتهم للطرق الصوفية في الجزائر إلى حقيقة مفادها أنه يكون على رأس الطريقة أو المدرسة شيخ ينحدر من عائلة المؤسس الأول أي الولي الصالح ، و لديه مجموعة من " المقدمين " الذين يمثلونه لدى عامة الناس و قد يستعين " لمقدم " ب " نقباء " و الذين يتولون أمور المريدين ، في تنظيم تراتبي هرمي غاية في الانضباط و الصرامة .

و هناك ثلاث مميزات للتنظيم الديني الإسلامي ، قد تختلف عند كل تنظيم و لكن هذا الاختلاف يقف عند حدود المتطلبات الملحة للأورثدوكسية الإسلامية والتي تحترمها وتمارسها كل هذه الفرق.

1 – الشرط الأول هو إثبات أصالة المنهج وذلك بإثبات قوة السند أو ما يسمى السلسلة الذهبية من المشايخ التي توارثت الأنوار الربانية التي تلقى عنها الشيخ الذي يريد تأسيس تنظيم جديد ، عن شيخه عن شيخه حتى ينتهي به السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعلم الأول ، و هذا ما ينطبق على مؤسس الطريقة الرحمانية في منطقة القبائل وبالضبط في قرية آث اسماعيل بحلف قشتولة بمنطقة ذراع الميزان الشيخ محمد بن عبد الرحمان الذي ينتمي إلى العترة النبوية الطاهرة .وهو ما يؤكده ما جاء في إجازته لأحد تلامذته، وما جاء في إجازة الشيخ محمد بن سالم الحفناوي" :أجزت الحسيب النسيب السالك الأريب، ولدنا الفهامة سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري الحسني "**16** ، و هي تمثل أحد المعالم الرئيسية البارزة وظاهرة دينية روحية اجتماعية وسياسية هامة في تاريخ الجزائر المعاصرة وفي منطقة القبائل بالخصوص، ومناولتها بالدرس والتحليل يزودنا بالكثير من الفوائد والفرائد التي تعيننا على فهم الكثير من الحقائق في الناحية الدينية، الناحية السياسية، الناحية الاجتماعي التي تصبغ المعاش اليومي للمنطقة.

2 – الشرط الثاني و هو احترام الوصايا الخمس للرسول و العمل بها حرفيا و هي :

أ - اتقوا الله بقلوبكم و لتكن هذه التقوى دليلا لأعمالكم لأنها أساس كل بر و كل شيء مبني عليها ، ستأمركم بالتخلي عن شهواتكم و عن الغل و الكبر و الشح و كل أمراض القلوب . عيونكم و أيديكم و آذانكم و ألسنتكم كلها ستستجيب لخشية الله .

ب - التزموا بسنتي و قلدوني في كل أعمالي، لأن من يتوافق مع سنتي سيؤكد لي حبه لي ومن يمتنع فلن يُعتبر مسلما .

ج – لا تبدو للخلائق لا حبا و لا كراهية ، لا تفضلوا من أعطاكم على من منعكم ، فالحب والكراهية يضلان الإنسان عن واجباته تجاه ربه . ليس لكم إلا قلب واحد ، إن شغلتموه بالأمور الدنيوية فماذا سيبقى لربكم .

د - اقنعوا بما منح الله لكم ة لا تنقموا إن أخذ شيئا من ثرواتكم و ابتلاكم بالمصائب و لا تفرحوا إذا أكثر عليكم نعمه أو إن حباكم بصحة جيدة .

هـ - اجعلوا كل شيء لله لأنه مصدر كل شيء، وليكن تسليمكم لأمر الله كأن يكون الخير و الشر سيان بينهما، لأن كلاهما من الله و الخيرة فيما اختاره الله.

و هنا نجد أن الرحمانية قد اختارت طريقة الإمام الجنيد و العمل بمقتضى تقوى الله في السر والعلانية ، في الظاهر و الباطن ، مع مجاهدة النفس في العمل الصالح، و توخي الصدق في كل الأحوال .و ترتكز في العموم على ترك فضول الكلام،و ترك فضول الطعام ، و ملازمة الصمت إلا لذكر الله أو لضرورة الحال، وترك فضول المنام بأن لا ينام إلا لضرورة و ملازمة السهر للتهجد وذكر الله والاستغفار بالأسحار، وترك مخالطة الأنام باعتزال الناس إلا لضرورة علم دين أو معاش والإخلاص في جميع الأحوال، وملازمة ذكر الله تعالى ،

كما تدعو هذه الطريقة إلى احترام مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وتدعو مريديها إلى العمل على نشر الخير والفضيلة، وتدريس العلوم الشرعية، وتربية الأبناء على الأخلاق الحميدة، وتقاليد الآباء والأجداد، وغرس الإيمان في قلوب الناس، وتعليم الناس أمور دينهم، وواجباتهم تجاه الله والرسول والناس أجمعين

3 – الشرط الثالث هو الطريقة و تضم كافة المراحل أو المحطات و التي لا تتيسر لكل المريدين. هذه المراحل يوجه الشيخ المريد الجديد و يحمله عبر خطوات متتابعة لحالة روحانية صافية شيئا فشيئا وصولا إلى الطهارة و النقاء الروحي الذي يقرب المخلوق من خالقه. و لقد عدد العارفون بعض هذه المحطات بحسب كل طريقة و هي : الذكر ، الذوق أو التذوق ، الجذب ، الحل ، المقام ثم الحق ، هذه الدرجات يتدرج فيها المريد بمجاهدة النفس و الزهد و الصوم و قيام الليل .

و من هنا نلاحظ أن هذه الطريقة " الرحمانية " هي بُنَى اجتماعية يحكمها نظام ضبط اجتماعي محكم و تعيد إنتاج نفسها وفق آليات صارمة، قد عملت السلطات الاستعمارية على فهمها و تفسيرها و تفكيكها لإحكام السيطرة عليها.

<u>أسباب انتشار الرحمانية :</u>

لقد تنبه البحاثة الفرنسيون إلى انتشار الزوايا في منطقة القبائل مشكلة نسيجا مترابطا امتزج بالمعاش اليومي لساكنة المنطقة ، ففي إحصاء" كوبولاني وديبون "الذي أنجزاه سنة 1897 نجد أن عدد الزوايا بالجزائر بلغ 349 زاوية، منها 177 زاوية خاصة تابعة للطريقة الرحمانية وحدها أي ما يفوق نسبة 50 بالمائة ".**17** و لقد حاول البحاثة الفرنسيون أن يستثمروا في خصوصية هذه المنطقة لتكريس سياستهم الكولونيالية و تأكيد النظرية الاستعمارية القائلة بأن الطريقة الرحمانية تمثل تجسيدا لانتصار القبائل واستقلالهم عن العرب دينيا و يتجسد هذا في تبنيهم لهذه الطريقة التي أسسها شيخ ينتمي إلى بطون هذه المنطقة فأصبح يمثل رمز التصوف ببلاد القبائل و هذا ما ذهب إليه الضابط دي نوفو DE NEUVEU و العقيد ترميليه في دراساتهم التي رأوا فيها أن هذا الشيخ قد " أعطى للطريقة الرحمانية الصبغة الوطنية لبلاد القبائل، وأنها تمثل التصوف القبائلي، وهي الطريقة الجزائرية الوحيدة، والتي أنشأها مواطن من الجزائر ولم تأت من الخارج " **18** ، بمعنى أنها الوحيدة الأصيلة من بين الفرق الصوفية المنتشرة عبر ربوع التراب الجزائري و محاولة ربطها بأصالة منطقة القبائل التي تركز عليها الكتابات الفرنسية . و بذلك أراد المؤلفان اعتبار الطريقة الرحمانية طريقة خاصة بمنطقة القبائل، و ادعيا أن القبائل رأوا في الشيخ محمد بن عبد الرحمن وليهم الوطني وعرض" ترميليه "دور الزاوية العلمي في حياة ابن عبد الرحمن

الأزهري وهو الدور الذي أهمله دي نوفو ولم يشر إليه كما ركز DE NEUVEU كثيرا على الدور السياسي الذي تلعبه الطريقة الرحمانية في الثورات المختلفة التي تقوم ضد الاحتلال الفرنسي، ولعل آخرها كانت ثورة الشيخ الحداد .التي بينت أن الطريق الرحمانية كانت دائما في مواجهة الوجود الفرنسي ومقاومته .

فحاول هؤلاء البحاثة التأثير على السلطات العسكرية لإضعاف هذه الطريقة و ذلك ب " زرع الفتنة بين بعض القبائل والعداوة بين بعض القبائل، ورغم محدودية هذه الظاهرة إلا أنها وجدت بفعل التسويات التي كانت تقوم بها سلطات الاحتلال عقب القضاء على بعض الثورات، حيث تنزع الأراضي من بعض القبائل وتوزعها على قبائل أخرى مثل ما حدث بعد ثورة المقراني" **19** .

أما نحن فنعتقد أن انتشار هذه الطريقة في منطقة القبائل يعود إلى عدة أسباب نذكر منها

1- أن هذا الشيخ قد " أسس زاويته بموطنه الأم قشتولة وشرع في الدعوة إلى طريقته الرحمانية التي تعرف شهرة كبيرة بالجزائر، وتحديدا ببلاد القبائل، والتي قامت بدور هام في الثورات منذ دخول الاحتلال الفرنسي .ونظرا لأهميتها فقد سعى الأمير عبد القادر إلى كسب ودها وجعلها تحت قيادته "**20** .

2- شرف الرجل وانتمائه إلى آل البيت :ونحن نعلم مدى تأثير هذا العامل في جزائر القرن 18 و19 حيث أن الأشراف احتلوا مكانة سامية في أعلى هرم المجتمع الجزائري . و ما تتمتع به شخصية الشيخ محمد بن عبد الرحمن، من استعداد روحي ديني وفقهي لنشر العلوم والمعارف، وحرصه الدائم وعمله المتواصل لنشر أوراد الطريقة وكسب المزيد من المريدين والأتباع .كما نستطيع أن نضيف عامل البساطة والتواضع الذين أديا إلى انتشار الطريقة بين أوساط الطبقات الفقيرة والمتواضعة. و مجاورته للأزهر الشريف حتى أنه لقب بالأزهري لطول مجاورته للأزهر.

3- لقد استثمر في حب ساكنة منطقة القبائل و توقيرهم لآل بيت النبي صلي الله عليه و سلم و هذا ربما يعود لتغلغل الدعوة لمذهب أل البيت من طرف أبي عبيد الله دون أن يفصح بذلك و هذا يتجلى في تسمية غالبية التوائم عند القبائل بالحسن و الحسين و تسمية الأنثى بفاطمة و الاحتفال بعاشوراء و تسمية الذكور باسم علي ، وعلي ، محند وعلي و جعفر و آخرها هو حرمان النساء من الميراث ربما عملا بالحديث المتواتر عند الشيعة و الذي مفاده أن النساء لا يرثن .

4- و من الناحية السوسيلوجية فنرى أن السبب الرئيس هو تجنب هذه الطريقة التدخل في شؤون القرى و عدم فرضها للشرع الإسلامي أمام العرف القبائلي و كذا استغلال التناحر الدائم بين القرى و الأعراش و الذين لا يرضون بحكم عرش على عرش و يفضلون أن يفصل بينهم غريب يكون محايدا .

5- أنها تتخذ من الأماكن المنعزلة مقرا لها و غالبا ما تكون بين الحدود بين عرشين و لا تتدخل إلا لفض النزاعات و مباركة الأعمال الجماعية الخيرية و إصلاح ذات البين .

<u>الاستعمار و الحركات الدينية في الجزائر :</u>

يجمع علماء الاجتماع و الإناسة أن أهم ما جاءت به الحداثة الغربية هو مفهوم الدولة التي تقوم على مبدأ التوحيد و التأحيد، و ذلك بتوحيد الجهود و المساعي لبناء الدولة بتأحيد النظم الفكرية ، القانونية ، الثقافية ، الاجتماعية و السياسية و حتى الدينية. هذه الدولة التي غيَّرت بنية المجتمعات التقليدية الغربية من مجتمعات زراعية و إقطاعية لمجتمعات صناعية ليبرالية قامت على **مركزية الإنسان الغربي**، الذي أعطى لنفسه الحق في التصرف في مصير المجتمعات غير الغربية و"**الوحشية**" في نظره بدعوى "**مَهَمَّة التَمْدين**" « Mission Civilisatrice »،فكانت الجزائر من أولى هذه الدول التي تعرَّضَتْ لصدمة الاستعمار الاستيطاني .

و أمام هذا الوضع الجديد، و جد المُستعمِر (أو المُستدمِر بتعبير مولود قاسم) الغربي المتفوق ثقافيا و حضاريا، نفسه أمام مجتمعات مجهولة المعالم، مما يستدعي دراسة مُعَمَّقة و شاملة لبناه الفكرية ، الاجتماعية، السياسية و الدينية ، بغرض إحكام السيطرة عليه. ومنه نجد أن الاستعمار الفرنسي قد شكَّل لجانا للاستكشاف العلمي للجزائر و لساكنتها. و من بين البُنى التي أثارت انتباه البحاثة الفرنسيين نجد الطرق الصوفية و التنظيمات الدينية ككل ففي هذا يقول أحدهم :" كأُمَة

عظيمة و مجاورة للشعوب المسلمة ، فإن لفرنسا مصلحة سياسية حتى في الجزائر ، فقضية التنظيمات الدينية ليست معروفة بالقدر الذي يكفي للمراقبة الجيدة لهذا البلد الذي يرتكز على عدد من هذه التنظيمات الدينية و ذلك من حيث عقائدهم، اتجاهاتهم ، أماكنهم للدعاية ، مجال نشاطهم ، و طرق تجنيدهم و كيفية انتظامهم إلخ21..

و من خلال هذه الدراسات خَلُص البَحَّاثة إلى حقيقة مفادها أن هذه التنظيمات تتمحور حول شخصية واحدة ، قوية تستمد هيبتها و تبجيلها و نفوذها من الدين الإسلامي ذاته، و الذي يكرس هذا المفهوم عملا بالحديث الذي معناه " من مات و لم يعرف إمام زمانه ، مات ميتة الجاهلية ، و بالتالي فإن على الشعب المسلم أن يخضع لسلطة إمام . إمام واحد و وحيد ، تكون سلطته مطلقة و تشمل كل مناحي الحياة ، و على الكل الخضوع لها و احترامها . و يتوجب على كل مدينة و كل مصر ألا تعترف بسلطة إمام غيره ، لأن ذلك سيؤدي إلى اضطرابات قد تقوض أسس الدين و الدولة معا "22.

إذن كل السلطة الروحية و الدينية و السياسية تجتمع عند الإمام الواحد ، مما يعطيه قدرة كبيرة في حشد الجماهير و تنظيمها و تسخيرها لقضايا الدين و السياسة و الاجتماع ، و منه تَفَطَّن البَحَّاثة الفرنسيون إلى مدى خطورة الدور الذي يلعبه شيوخ الصوفية و إلى ضرورة مغازلتهم و استمالتهم إليهم لخدمة المشروع الاستعماري رغم صعوبة المهمة ففي هذا يقول أحدهم: "رغم كل النيات الحسنة الممكنة لاجتناب مصادمة الشعور الديني للمسلمين، فإننا لن نستطيع تحقيق أي تقدم أو إصلاح، دون أن نجلب لعنات المؤمنين الحقيقيين و العالِمِين جيدا بروح و عقائد ديانتهم "23.

من خلال هذه الخلاصات، نلاحظ أن البحاثة الفرنسيين قد أدركوا مكانة الدين و رجل الدين في البنية الاجتماعية و الثقافية و السياسية الكلية للمجتمع الجزائري كمقوم رئيس للشخصية الجزائرية، فتوجب بذلك العمل على تحييده و الحد من نفوذه . و لقد تَنَبَّهوا إلى أن المعرفة الدينية قد بقيت حكرا على نخبة من المرابطين و شيوخ الزوايا ، إضافة إلى الدراسات الاثنلوجية التي بينت تعددا إثنيا لدى ساكنة الجزائر فحاولت الاستثمار في ذلك و اللعب على وتر العرق ضمن ما يسمى بسياسة الأعراق و في هذا يقول أحد البحاثة أنه: "لحسن حظنا، فإن الأشخاص المتعلمين حقا حتى في الأمور الدينية قلائل جدا في الجزائر .... ثم إن جماهير هذا الشعب هي بربرية في الأصل و ليست عربية ، و هي لا تبقى دون إحساس أمام تحقيق رغباتها المادية ، و لقد تَنَكَّرت لِقِسمٍ كبير من القانون الإسلامي لتستبدله بالقانون العرفي الذي يقترب إلى حد ما من قوانيننا "24 . و من هنا ارتأى المنظرون الاستعماريون التركيز على العوامل التي تمزق النسيج الاجتماعي للشعب الجزائري بهدف إضعاف سطوة الدين على كل مفاصل الحياة الاجتماعية لهذا المجتمع . و عمدوا لتحقيق ذلك إلى تسريب منظومتهم القانونية المدنية لتحل محل المنظومة الإسلامية و ذلك تدريجيا و في هذا يقول أحد المنظرين :" لقد استطعنا إذن و دون اللجوء للأساليب العنيفة و دون أن نخلق لأنفسنا مشاكل كبيرة ، أن نفصل في الجزائر بين ثلاثة أمور هي عادة متداخلة في كافة البلاد الإسلامية و هي القضاء ، الدين و التربية "25.

و لقد ركزت كثيرا على استبدال القوانين الإسلامية بالقوانين الفرنسية و استثنت قانون الأحوال الشخصية، كما ركزت على محاربة التعليم القرآني في الزوايا و المساجد ، نظرا للدور الخطير الذي تل_عبه التربية في تشكيل شخصية الناشئة عبر مقرراتها و مناهجها ، و في هذا يقول أحد البحاثة المنظرين للإدارة الاستعمارية :" بخصوص التربية ، فإن جميع جهودنا منذ 1830 قد انصبت حول هدف واحد و هو تقليص التعليم القرآني واستبداله تدريجيا بتعليم أكثر عقلانية و أكثر تطبيقية وخاصة أكثر فرنسة "26 .

موازاة مع السياسة القانونية و التعليمية التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية ، فإنها قد جنَّدت جيوشا من البحَّاثة لدراسة هذه الفرق الدينية ، التي على كثرتها و انتشارها في كافة أمصار البلاد ، و تجنيدها لجماهير واسعة من المريدين ، تمثل قوة لا يُستهان بها و تمثل عائقا حقيقيا لكل المشروع الاستعماري . فاتجهت الدراسات إلى وصف و تصنيف هذه الفرق فوجدت " أن النشاط الديني الإسلامي في الجزائر تمارسه ثلاثة فئات من الناس و التي يجب التفريق بينها ، فالفئة الأولى تضم المنظومة الدينية الرسمية ، الأجراء كباقي أتباع الديانات التي تعترف بها القوانين الفرنسية . الفئة الثانية تتكون من " لمرابطين " المحليين ، رجال دين مستقلون ، يمارسون واجباتهم الكهنوتية و التعليم الإسلامي دون ارتباط رسمي و لا أجر و في مساكنهم

الشخصية ، أو في مبان يبنيها و يحافظ عليها المحسنون كالزوايا و الجوامع و ثيمعمرين و القِبَاب. أما الفئة الثالثة و الأخيرة فتضم التنظيمات الدينية أو " لخوان "27 و يُقصد بها الفرق الصوفية .

نلاحظ أنه من خلال هذا التصنيف أن المنظومة الدينية يحكمها ثلاثة فاعلين أساسيين و هما ا أئمة الرسميون الأجراء عند الإدارة الاستعمارية ، و الشيوخ " لمرابطين " المستقلين و زعماء الفرق الصوفية و " هنا سنجد أنفسنا أمام شخصيات متباينة جدا من حيث القيم الثقافية و المكانة الاجتماعية و التأثير أو النفوذ السياسي . ففي المقام الأول نجد الشيخ " المرابطي " الذي يملك زاوية و يكون غنيا إلى حد ما و وريثا للحظوة و الشهرة الدينية التي كان يتمتع بها سلفه الشريف أو الولي الممجد في كل البلاد " 28 . و يمتد تأثير حظوة الشيخ المرابطي على حيز إقليمي متغير جدا ، و ذلك بحسب مكانته الاجتماعية ، و مدى تبجيل المريدين لجده الأكبر ، أكثر من ثرواته المادية و ميزاته الخاصة .

و لقد استفاضت الدراسات في البحث عن مراكز النفوذ لدى العائلات المرابطية المنتشرة عبر التراب الجزائري فوجدت أنه " باستثناء العائلة المرابطية الكبرى لاولاد سيدي الشيخ ، و التي يحتفظ رؤساؤها رغم هزائمهم بوضعية استثنائية من حيث الحظوة و التأثير ، فإننا لا نجد في الجزائر " مرابطين " يكنون لنا العداوة لأن جميعهم اليوم قد فهموا أن أيدينا ستمس بسهولة ، كما أن أكثر الساخطين علينا يكتفون باعتزال المسيحيين ، يدفعون ضرائبهم و يتكيفون مع أوامرنا العامة الصادرة عن الإدارة أو الشرطة ..... موغلين **بذلك في منطق يؤسس لجبرية** تفسر الواقع الاجتماعي المزري الذي خلَّفه الاستعمار بنوع من التواكل الديني حيث يرون ألا شيء يحدث بلا مشيئة الله ، و بما أن الله قد حَبَى المسيحين بالقوة و سمح لهم بإخضاع المسلمين لهم ، فإنه يتوجب على المؤمنين الحقيقين أن ينحنوا أمام هذه القوة التي تعبر عن مشيئة الرب " 29 . من هنا نلاحظ أن الإدارة الاستعمارية قد وقفت على نقطة هامة تستطيع بها تفكيك و زرع الفتنة بين التنظيمات و ذلك باستمالة الشيوخ المرابطين المستقلين لجانبها مقابل مزايا مادية أو معنوية إذ يقول أحد البحاثة أن " هؤلاء المرابطية الذين لا ينتمون لأي تنظيم ديني ليس من طبعهم التعصب ، فلقد رأينا خلال الانتفاضات ، البعض منهم يأوون الفرنسيين و يحمونهم من الثوار ، و البعض الآخر في الأوقات العادية غالبا ما يأتون بعفوية لمساعدة الفرنسيين الذين يضلون الطريق " 30 و في هذا محاولة لتوسيع الهوة بين أهم فاعلي المنظومة الدينية و خاصة بين شيوخ الصوفية و لمرابطية المستقلين و الوقوف إلى جانب المرابطين رغم عدم ائتمانهم ، و لذلك نصح العديد من منظري الإدارة الاستعمارية بالتعاون مع المرابطين إذ يقول أحدهم: "وخلاصة القول، أنه يتوجب علينا مراقبة هؤلاء المرابطين المحليين برصانة مع محاولة تطويعهم و حسن معاملتهم ، لأنهم يمثلون الوسيط الأوحد الذي نأمل أن يكون في صفنا في صراعنا اليومي ضد نفوذ و تصرفات " لخوان " "31. هنا نلاحظ بوضوح موقف الإدارة الاستعمارية العدائي من الفرق الصوفية التي يمثلها " لخوان " و محاولة استمالتهم للشيوخ المرابطين ضد تنظيمات لخوان " لكسر شوكتهم و إخماد ذلك التعصب الديني و الكره الشديد الذي يكنونه للمسيحيين . و لقد اعترف أحد الكُتَّاب أنه " ليس نادرا أن نرى المرابطين منقسمين بسبب نزاعات بينهم ، و لكن نفورهم الشديد موجه بالخصوص ضد " لخوان " الذين يأتون من الخارج للتسوُّل فيفقرون بذلك خدامهم الدينيين و يقلصون بذلك من سطوتهم و نفوذهم لصالح زاوية غريبة عن القبيلة .....و عداء المرابطين المحليين ل " لخوان " يشبه إلى حد كبير ذلك العداء الموجود في البلاد الكاثوليكية بين رجال الدين العلمانيين و رجال الدين النظاميين "32

من خلال ما سبق يمكننا القول أن الفرق الصوفية في غالبيتها و الرحمانية بالخصوص كانت تشكل عقبة في وجه الاستعمار الفرنسي و حجر عثرة لكل المشاريع الاستعمارية و لا غرابة أن نجد أن أهم الثورات الشعبية التي شهدتها الجزائر كان يقودها زعماء صوفيون من أمثال الأمير عبد القادر و اولاد سيدي الشيخ و المقراني و الشيخ أحداذ و لالا فاظمة نسومر إلخ ....

خاتمة :

من خلال الورقة التي قدمناها، حاولنا الوقوف على أهم فاعلي النسق الديني في الجزائر عامة و في منطقة القبائل خاصة إبان الاحتلال الفرنسي، فوجدنا أن الإدارة الاستعمارية قد أولت اهتماما كبيرا بالمنظومة الدينية ككل، نظرا لدور الدين الخطير في تشكيل هوية الشخصية الجزائرية ، و لقد انتهجت سياسات خاصة لمراقبة و توجيه الفاعلين الدينيين و استثمار كل ما من شأنه أن يضعف هذه التنظيمات . فعمدت إلى الاستيلاء على الحبوس للقضاء على الزوايا التي تمثل العدو الرئيس للسياسات الاستعمارية ، كما أسست منظومة دينية رسمية

بجيوش من الأئمة الرسميين الأجراء عندها و الموالين لها ، بالإضافة إلى استمالة " لمرابطين " المستقلين و محاولة زرع الفتن بين مختلف الفرق الصوفية و تعميق الهوة بين أتباعها و كل هذا بهدف إحكام السيطرة السياسية و العسكرية على كامل التراب الجزائري و في منطقة القبائل بالخصوص و فرض المنظومة الثقافية و الاقتصادية و السياسية للدولة الغربية الحديثة ، والقضاء على الإسلام كمقوم رئيس في الشخصية الجزائرية و الذي تمثل فيه المسحة الصوفية السمة الأساس.

الإحالات:

1- سير جيمس فريزر : الغصن الذهبي ، ترجمة كمال أحمد أبوزيد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، الجزء الثاني، ص 197

2- منال عبد المنعم جاد لله : التصوف في مصر والمغرب ، نشأة المعارف بالإسكندرية، ب. ت، ص84 :

3- Alexis de Tocqueville, travail sur l'Algérie, p 8 , www.uqac.ca

4- Alexis de Tocqueville, notes sur le coran, p 29 , www. uqac.ca

5- Alexis de Tocqueville, op-cit , 50

6- Alexis de Tocqueville, ibid , p51

7- Ibid , p 52

8- مقدمة ابن خلدون، دار ومكتبة الهلال، بيروت، سنة 1991 ، ص2 :

9- الإمام عبد القاهر بن ظاهر بن محمد البغدادي : الفرق بين الفرق ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1997 :، ص2 :

8- Louis Rinn , Marabouts et Khouans étude sur l'Islam en Algérie , Alger, Adolphe Jourdan , librairie – editeur , 1884 , p 74

9- DUGAT, Histoire des philosophes et des théologiens musulmans, p 336 , gallica.fr

10- Charhes Brosselard , les Khouan: de la constitution des ordres religieux musulmans en Algérie, p 29 , gallica.bfn.fr

11- ibid , p 32

12- ibid , p 29

13- Louis Rinn , Marabouts et Khouans étude sur l'Islam en Algérie,op-cit , p 31

14- أبو القاسم الحفناوي الديسي: تعريف الخلف برجال السلف ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2 ،1985. ج/2 ص469

15- O Depont et X Copollani : Les confréries religieuses musulmanes, Alger, Adolphe Jourdan, 1897; P 389.

16- De Neuveu: les Khouans ordres religieux chez les Musulmans ، Jourdan ، Alger،1913. P 112.

17- بسام العسلي:محمد المقراني وثورة 1871، دار النفائس، بيروت، ط 1981 ، 1،ص196

18- Colonel Corneille Trumelet : l'Algérie légendaire , en pèlerinage aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'Islam ,Tell et Sahara ,Jourdan , Alger, 1892, P 341. Louis Rinn , Marabouts et Khouans étude sur l'Islam en Algérie, p 4

19- ibid , p 9

20- ibid, p 10

21- ibid , p 11

22- ibid , p 11

23- ibid, p 11

24- ibid , p 12

25- ibid , p 21

26- ibid , p 23

27- ibid , p 24

28- ibid , p 25

29- ibid